# باب حفظ الجميل والوفاء به ومكافئة صانعه وإجازة الوفود

قال الله تعالى: هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿الرحمن: ٦٠﴾

وقال تعالى: وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّـهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿النساء: ٨٦﴾

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: "منِ استعاذَ باللهِ فأعيذوهُ ، ومن سألَ باللهِ فأعطوهُ ، ومن دعاكُمْ فأجيبوهُ، ومن صنعَ إليكم معروفًا فكافئوهُ، فإن لم تَجِدوا ما تكافئونَهُ فادعوا له حتى ترَوْا أنكم قد كافأتُموهُ" حديث صحيح، النووي في الأذكار458 وأخرجه أبو داود (1672) واللفظ له، والنسائي (2567)، وأحمد (5365).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لما كان يومُ بدرٍ، أُتِيَ بأُسارَى، وأُتِيَ بالعباسِ، ولم يكنْ عليه ثوبٌ، فنظَر النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم له قميصًا، فوجَدوا قميصَ عبدِ اللهِ بنِ أُبَيٍّ يقدُرُ عليه، فكَساه النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إيَّاه، فلذلك نزَع النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قميصَه الذي أَلبسَه، قال ابنُ عُيَينَةَ : كانتْ له عِندَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يدٌ، فأحبَّ أن يُكافِئَه. رواه البخاري

وعن أبي هريرة وابن مسعود رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما لِأَحدٍ عندَنَا يَدٌ إلَّا وقَدْ كافأناهُ ، ما خلَا أبا بكرٍ ، فإِنَّ لَهُ عِندنَا يَدًا يُكافِئُهُ اللهُ بِها يَومَ القيامَةِ، ومَا نفَعَنِي مَالُ أحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعِني مالُ أبي بِكْرٍ، ولَوْ كنتُ متخِذًا خَلِيلًا لاتخذْتُ أبا بكرٍ خلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ صاحبَكُمْ خليلُ اللهِ" حديث صحيح، صحيح الجامع، 5661 وأخرجه الترمذي (3661)، والديلمي في ((الفردوس)) (6328) مطولاً

‏‏

وعندما دعا أبو أيوب الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه على طعام في بيته: فلمَّا نهَض قال لأبي أيُّوبَ: ( ائتِنا غدًا ) وكان لا يأتي إليه أحَدٌ معروفًا إلَّا أحَبَّ أنْ يُجازيَه، قال: وإنَّ أبا أيُّوبَ لم يسمَعْ ذلك، فقال عمرُ: إنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أمَرك أنْ تأتيَه غدًا، فأتاه مِن الغدِ فأعطاه وليدتَه، فقال: (يا أبا أيُّوبَ استوصِ بها خيرًا، فإنَّا لم نرَ إلَّا خيرًا ما دامتْ عندَنا) فلمَّا جاء بها أبو أيُّوبَ مِن عندِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: لا أجِدُ لوصيَّةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم خيرًا مِن أنْ أُعتِقَها فأعتَقها. أخرجه ابن حبان في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنه 5216

وأخرج البخاري في حديث صلح الحديبية فقال عروةُ عندَ ذلك : أَيْ محمدُ ، أَرَأَيْتَ إن استَأْصَلْتَ أمرَ قومِك ، هل سَمِعْتَ بأحدٍ مِن العربِ اجتاحَ أهلَه قبلَكَ ؟! وإن تَكُنْ الأخرى، فإني واللهِ، لَأَرَىَ وجوهًا ، وإني لَأَرى أشوابًا مِن الناسِ خليقًا أن يَفِرُّوا ويَدَعُوكَ ، فقال له أبو بكرٍ : امْصُصْ ببظرِ اللاتِ! أنَحْنُ نَفِرُّ عنه ونَدَعُه ؟ فقال: مَن ذا ؟ قالوا: أبو بكرٍ. قال: أما والذي نفسي بيدِه ، لولا يدٌ كانت لك عندي لم أُجْزِكْ بها لأَجَبْتُكَ! أي: لولا أن لك نعمة عندي لم أكافأك بها لأجبتك على هذه المسبة التي سببتني بها، فقوله: لولا يد لك عندي، اليد هنا بمعنى النعمة.

# وكان من عادته صلى الله عليه وسلم إجازة الوفود بجوائز عند وداعهم

فقد أورد ابن القيم في زاد المعاد [ ص: 573 ] قصة قُدُومِ وَفْدِ بَهْرَاءَ: فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَقُولُونَ : نَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَازْدَادُوا يَقِينًا. وَذَلِكَ الَّذِي أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ وَأَقَامُوا أَيَّامًا، ثُمَّ جَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوَدِّعُونَهُ، وَأَمَرَ لَهُمْ بِجَوَائِزِهِمْ، وَانْصَرَفُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ)

وفي قصة وَفْدِ بَنِي سَعْدِ هُذَيْمٍ مِنْ قُضَاعَةَ قال: فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَلَبِنَا ، فَأُتِيَ بِنَا إِلَيْهِ ، فَتَقَدَّمَ صَاحِبُنَا إِلَيْهِ فَبَايَعَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ أَصْغَرُنَا، وَإِنَّهُ خَادِمُنَا، فَقَالَ : "أَصْغَرُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ ، بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ" قَالَ: فَكَانَ وَاللَّهِ خَيْرَنَا، وَأَقْرَأَنَا لِلْقُرْآنِ لِدُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ، ثُمَّ أَمَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَكَانَ يَؤُمُّنَا، وَلَمَّا أَرَدْنَا الِانْصِرَافَ أَمَرَ بلالا فَأَجَازَنَا بِأَوَاقٍ مِنْ فِضَّةٍ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنَّا، فَرَجَعْنَا إِلَى قَوْمِنَا، فَرَزَقَهُمُ اللَّهُ الْإِسْلَامَ ) السيرة النبوية، زاد المعاد- ص 570 لإبن القيم الجوزية

وفي قصة قُدُومِ وَفْدِ ذِي مُرَّةَ "فَأَقَامُوا أَيَّامًا ثُمَّ أَرَادُوا الِانْصِرَافَ إِلَى بِلَادِهِمْ ، فَجَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُوَدِّعِينَ لَهُ ، فَأَمَرَ بلالا أَنْ يُجِيزَهُمْ ، فَأَجَازَهُمْ بِعَشْرِ أَوَاقٍ فِضَّةً ، وَفَضَلَ الحارث بن عوف أَعْطَاهُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَرَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ فَوَجَدُوا الْبِلَادَ مَطِيرَةً ، فَسَأَلُوا : مَتَى مُطِرْتُمْ ؟ فَإِذَا هُوَ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ ، وَأَخْصَبَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بِلَادُهُمْ ) السيرة النبوية، زاد المعاد-لإبن القيم الجوزيةص 578

وفي قصة قُدُومِ وَفْدِ غَسَّانَ: وَقَدِمُوا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ عَشْرٍ وَهُمْ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ فَأَسْلَمُوا وَقَالُوا : لَا نَدْرِي أَيَتْبَعُنَا قَوْمُنَا أَمْ لَا ؟ وَهُمْ يُحِبُّونَ بَقَاءَ مُلْكِهِمْ وَقُرْبَ قَيْصَرَ، فَأَجَازَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَوَائِزَ وَانْصَرَفُوا رَاجِعِينَ.

وفي قصة وَفْدُ بَلِيٍّ " قَالَ رويفع بن ثابت البلوي: ثُمَّ قَامُوا فَرَجَعُوا إِلَى مَنْزِلِي – إستضافهم- فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِي مَنْزِلِي يَحْمِلُ تَمْرًا فَقَالَ: "اسْتَعِنْ بِهَذَا التَّمْرِ" وَكَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ ، فَأَقَامُوا ثَلَاثًا ، ثُمَّ وَدَّعُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَجَازَهُمْ وَرَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ )

فَصْلٌ فِي قُدُومِ وَفْدِ تُجِيبَ .

وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ تُجِيبَ وَهُمْ مِنَ السَّكُونِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا قَدْ سَاقُوا مَعَهُمْ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمُ الَّتِي فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، فَسُرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِمْ وَأَكْرَمَ مَنْزِلَهُمْ ، وَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ : سُقْنَا إِلَيْكَ حَقَّ اللَّهِ فِي أَمْوَالِنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( رُدُّوهَا فَاقْسِمُوهَا عَلَى فُقَرَائِكُمْ " قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا قَدِمْنَا عَلَيْكَ إِلَّا بِمَا فَضَلَ عَنْ فُقَرَائِنَا ، فَقَالَ أبو بكر : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا وَفَدَ مِنَ الْعَرَبِ بِمِثْلِ مَا وَفَدَ بِهِ هَذَا الْحَيُّ مِنْ تُجِيبَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ الْهُدَى بِيَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَمَنْ أَرَادَ بِهِ خَيْرًا شَرَحَ صَدْرَهُ لِلْإِيمَانِ " وَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْيَاءَ ، فَكَتَبَ لَهُمْ بِهَا ، وَجَعَلُوا يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ ، فَازْدَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِمْ رَغْبَةً ، وَأَمَرَ بلالا أَنْ يُحْسِنَ ضِيَافَتَهُمْ ، فَأَقَامُوا أَيَّامًا وَلَمْ يُطِيلُوا اللُّبْثَ ، فَقِيلَ لَهُمْ : مَا يُعْجِبُكُمْ ؟ فَقَالُوا : نَرْجِعُ إِلَى مَنْ وَرَاءَنَا فَنُخْبِرُهُمْ بِرُؤْيَتِنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَلَامِنَا إِيَّاهُ ، وَمَا رَدَّ عَلَيْنَا ، ثُمَّ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوَدِّعُونَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ بِلَالًا فَأَجَازَهُمْ بِأَرْفَعِ مَا كَانَ يُجِيزُ بِهِ الْوُفُودَ . قَالَ : " هَلْ بَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدٌ ؟ " قَالُوا : نَعَمْ . غُلَامٌ خَلَّفْنَاهُ عَلَى رِحَالِنَا هُوَ أَحْدَثُنَا سِنًّا ، قَالَ : " أَرْسِلُوهُ إِلَيْنَا " ، فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى رِحَالِهِمْ ، قَالُوا لِلْغُلَامِ : انْطَلِقْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاقْضِ حَاجَتَكَ مِنْهُ ، فَإِنَّا قَدْ قَضَيْنَا حَوَائِجَنَا مِنْهُ وَوَدَّعْنَاهُ ، فَأَقْبَلَ الْغُلَامُ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ بَنِي أَبْذَى ، يَقُولُ : مِنَ الرَّهْطِ الَّذِينَ أَتَوْكَ آنِفًا ، فَقَضَيْتَ حَوَائِجَهُمْ ، فَاقْضِ حَاجَتِي يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : " وَمَا حَاجَتُكَ ؟ " ، قَالَ إِنَّ حَاجَتِي لَيْسَتْ كَحَاجَةِ أَصْحَابِي ، وَإِنْ كَانُوا قَدِمُوا رَاغِبِينَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَسَاقُوا مَا سَاقُوا مِنْ صَدَقَاتِهِمْ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْمَلَنِي مِنْ بِلَادِي إِلَّا أَنْ تَسْأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَغْفِرَ لِي وَيَرْحَمَنِي ، وَأَنْ يَجْعَلَ غِنَايَ فِي قَلْبِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَقْبَلَ إِلَى الْغُلَامِ - : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ ، وَاجْعَلْ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ " ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِمِثْلِ مَا أَمَرَ بِهِ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَانْطَلَقُوا رَاجِعِينَ إِلَى أَهْلِيهِمْ ، ثُمَّ وَافَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَوْسِمِ بِمِنًى سَنَةَ عَشْرٍ ، فَقَالُوا : نَحْنُ بَنُو أَبْذَى ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا فَعَلَ الْغُلَامُ الَّذِي أَتَانِي مَعَكُمْ ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا رَأَيْنَا مِثْلَهُ قَطُّ ، وَلَا حُدِّثْنَا بِأَقْنَعَ مِنْهُ بِمَا رَزَقَهُ اللَّهُ ، لَوْ أَنَّ النَّاسَ اقْتَسَمُوا الدُّنْيَا مَا نَظَرَ نَحْوَهَا ، وَلَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَمُوتَ جَمِيعًا ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : أَوَلَيْسَ يَمُوتُ الرَّجُلُ جَمِيعًا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَشَعَّبُ أَهْوَاؤُهُ وَهُمُومُهُ فِي أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا، فَلَعَلَّ أَجَلَهُ أَنْ يُدْرِكَهُ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَوْدِيَةِ، فَلَا يُبَالِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَيِّهَا هَلَكَ" قَالُوا : فَعَاشَ ذَلِكَ الْغُلَامُ فِينَا عَلَى أَفْضَلِ حَالٍ وَأَزْهَدِهِ فِي الدُّنْيَا، وَأَقْنَعِهِ بِمَا رُزِقَ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَجَعَ مَنْ رَجَعَ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ عَنِ الْإِسْلَامِ، قَامَ فِي قَوْمِهِ فَذَكَّرَهُمُ اللَّهَ وَالْإِسْلَامَ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ يَذْكُرُهُ ، وَيَسْأَلُ عَنْهُ حَتَّى بَلَغَهُ حَالُهُ ، وَمَا قَامَ بِهِ فَكَتَبَ إِلَى زياد بن لبيد يُوصِيهِ بِهِ خَيْرًا ) . السيرة النبوية- زاد المعاد[ ص: 569 ] الإمام شمس الدين أبي عبد الله ابن القيم الجوزية